

اللسانيات النفسية مفهومها ومجالاتها

Psycholinguistics, its concept and fields

د. رضا بيرش

المركز الجامعي - سي الحواس - بركة (الجزائر)

ملخص:

أدى تطور العلوم إلى مزيد من التعاون بينها لحل المشكلات التي تواجه الإنسان، وهذا هو الأساس الذي أدى بالعلماء إلى تأسيس علوم تطبيقية. ثم سرعان ما استقلت العلوم التطبيقية عن روافدها النظرية، لتكوّن لها مجالا له نظرياته ومجالاته وخصائصه.

يحاول هذا المقال دراسة اللسانيات النفسية من خلال المفهوم والفرق بينها وبين علم اللغة النفسي، والمجالات التي تدرسها.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات التطبيقية، اللسانيات النفسية، علم اللغة النفسي، التعليمية.

- Summary:

The development of the sciences has led to more cooperation between them to solve the problems facing humans, this is the basis that has led scientists to establish applied sciences. Then the applied sciences quickly became independent of their theoretical tributaries, to form a field with its theories, its fields and its characteristics.

This article attempts to study psycholinguistics through the concept and the difference between it and psycholinguistics, and the fields it studies.

Keywords: applied linguistics, psycholinguistics, and linguistics psychological.

مقدمة:

اللِّسَانِيَّاتُ النَّفْسِيَّةُ هي دراسة الحالات النفسية والنشاط العقلي المرتبطان باستعمال اللغة. وأكثر المشاكل في اللِّسَانِيَّاتِ النَّفْسِيَّةِ تكون ملموسة، كمشاكل الأداء اللغوي و اكتساب اللغة وصعوبات فهم اللغة، لقد درس علماء الأعصاب نشاط الدماغ الذي يشترك في استخدام اللغة، حاصلين على مُعظم بياناتهم مِنْ الناس الذين ضعفت قدرتهم على استخدام اللغة نتيجة أضرار حدثت في الدماغ.

1- تعريف اللسانيات النفسية:

علم يدرس تأثير العوامل النفسية على تطور اللغة واستعمالها وتفسيرها، ويركز على آليات الذهن البشري في فهم اللغة وإنتاجها وعلى دراسة الحالات النفسية والنشاطات الذهنية المترامنة مع استخدام اللغة.

تعرف افلن ماركوسن Evelyn markussen اللسانيات النفسية بأنها "دراسة اللغة الإنسانية وفهمها وإنتاجها واكتسابها"¹

ويعرفه جلال شمس الدين بقوله: " علم يدرس ظواهر اللغة ونظرياتها وطرق اكتسابها وإنتاجها من الناحية النفسية، مستخدماً أحد مناهج علم النفس".²

إذن تدرس اللسانيات النفسية أو "علم اللغة النفسي" العمليات العقلية للفهم والإدراك بأدوات مستقاة من اللسانيات وأخرى من علم النفس؛ للوقوف على كيف أن استخدام اللغة يتأثر بعمليات عقلية غير مباشرة، ويتم ذلك على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية؛ وعليه فهذا العلم يتفرع إلى أربعة فروع:

1- **الصوتيات النفسية:** تدرس كيفية تشفير وإنتاج الصوت اللغوي، وكيفية فك تشفيره وإدراكه، وما هي المناطق المخية المسؤولة عن ذلك، وكيف نكتسب النظام الصوتي للغة، كما يدرس الاضطرابات اللغوية التي تصيب الأصوات وكيفية تفسيرها وعلاجها...الخ.

2- **علم الصرف أو المورفولوجيا النفسية:** في هذا الفرع تُدرس عملية بناء الكلمات وآليات معالجتها من قبل الذهن البشري؛ أي من حيث تصنيفها وتخزينها في الذاكرة وكيفية استدعائها (انظر محاضرة المعجم الذهني) وكيفية اكتساب النظام الصرفي...الخ.

3- **علم النحو أو علم التراكيب النفسي:** يدرس عملية بناء الجمل وكيف يعالجها الذهن البشري ويحللها ويفهمها. أي يدرس الآلية الذهنية التي تمكّن الإنسان من إنتاج عبارات وجمل صحيحة صوتياً وصرفياً ونحويّاً، ومفيدة معنوياً، ومفهومة دلاليّاً،

ومناسبة لمقتضيات الأحوال استعمالياً (تداولياً)، كما يدرس كيفية اكتساب النظام النحوي للغة... الخ.

4- **علم الدلالة النفسي:** يدرس هذا الفرع الطرق والآليات التي بها يتوصل الذهن البشري إلى دلالات معاني الكلمات والجمل والعبارات. يهتم اللسانيون النفسيون وعلماء النفس على حد سواء بالدلالة أو المعنى، فهم يبحثون في كيفية تحقق الأنظمة والقواعد اللغوية في شروط واقعية للتواصل بين الأفراد، كما أنهم يعالجون الجوانب الذاتية للغة وقضايا الإدراك، واهتموا بدراسة الوسائل التي تجعل الناس مختلفين في إدراكهم للكلمات أو في تحديد قيمتها الدلالية، كما أنهم يبحثون جوانب اكتساب اللغة وتعلمها،³ وبذلك فهم يستفيدون من الطرح الدلالي، ويتبدى ذلك -حسب رأيي- في جانبين:

- ✓ لا يحكم على فرد من الأفراد؛ بأنه اكتسب لغة أمه أو تعلم لغة من اللغات، دون أن يكون قد تحكم في نظامها الدلالي.
- ✓ لا يمكن تشخيص أية حالة مريض لغويًا؛ دون تحليل دلالي لكلامه.

ويضيف بعض العلماء فرعاً آخرًا، وهو:

5- **علم الاستعمال النفسي (التداولية النفسية):** وتدرس اللسانيات النفسية في هذا الفرع، الكيفية التي يتجاوز فيها الذهن البشري المعاني الحرفية المباشرة للكلمات والجمل والعبارات من أجل الوصول إلى المعاني المقصودة، ضمن سياقات الظروف الموضوعية للخطاب الذي تستعمل فيه تلك الكلمات والجمل والعبارات.⁴

وهناك ثلاثة أسئلة رئيسة تحاول اللسانيات النفسية الإجابة عليها وهي: كيف يكتسب الإنسان اللغة وكيف يفهمها وكيف ينتجها.⁵ وتعتبر دراسات اكتساب الأطفال للغة وتعلم الأفراد لغة ثانية؛ دراسات لسانية نفسية بالأساس، ويسعى الباحثون في هذا المجال لتطوير نماذج modèles تبين كيف تتأسس وتتطور اللغة وتستخدم، وكيف يتم فهمها باستخدام دلائل مما يحدث نتيجة استخدام اللغة بشكل غير معياري، ويهتم هذا الفرع أيضاً بدراسة مشاكل اللغة والتخاطب مثل عسر القراءة أو الدسلكسيا Dyslexie واحتباس الكلام أو الأفازيا Aphasie الخ.

وتتبع اللسانيات النفسية في دراستها المنهج التجريبي للعمليات النفسية التي يكتسب المرء من خلالها نظام اللغة الطبيعية ويقوم بتنفيذه، وعليه فهي تعالج مشكلات مثل: ماهية اللغة ووصفها موضوعياً وتحديد مفهوم العمليات النفسية ووسائل دراستها. وتتميز اللسانيات النفسية بأنها تتناول اللغة كظاهرة نفسية؛ أي أنها تعنى باللغة كظاهرة نفسية عند المتكلم والسامع على السواء، فيصوغ المتكلم أفكاره في عبارات يعبر عنها بالكلام فيدركها السامع ويفهمها. كما يتميز بأنه يرصد العمليات الذهنية عند اكتساب

اللغة أو عند استخدامها وعلاقة ذلك بالفكر والثقافة فيعنى مثلا بدراسة العمليات التي يقوم العقل البشري من خلالها بربط الصيغة (مسموعة أو مكتوبة) بالمعنى من خلال وسيط وهو نظام اللغة.

6- الفرق بين اللسانيات النفسية وعلم النفس اللغوي:

يدرس الطالب في نظام LMD في فرع اللغة والأدب في الجامعات الجزائرية، في السنة الثالثة ليسانس-تخصص اللسانيات التطبيقية، مقياس مشابه إلى حد كبير لمقياس (اللسانيات النفسية، الذي يدرس في السنة أولى ماستر تخصص لسانيات تطبيقية) وهو مقياس "علم النفس اللغوي". ولا يوجد فرق واضح من حيث المفهوم أو موضوعات الدراسة بين علم النفس اللغوي واللسانيات النفسية، والفرق يكمن فقط في تاريخ الظهور وطبيعة الاختصاص ومن ثمة مناهج الدراسة، وفي أهداف العلم، وأهداف التدريس.

أما من ناحية تاريخ الظهور، فعلم النفس اللغوي كمصطلح ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد علماء النفس التجريبيين. أما اللسانيات النفسية فقد ظهرت في بداية النصف الثاني من القرن العشرين على يد شومسكي، الذي نزع بالدراسة اللسانية نزعة عقلية تهدف إلى سبر أغوار الدماغ البشري وتفسر قدرته المدهشة على فهم وإنتاج عدد لا متناه من الجمل.

وأما من ناحية طبيعة الاختصاص، نجد أن علم النفس اللغوي ينتمي إلى علم النفس المعرفي أحد أهم فروع علم النفس التطبيقي، وتعد اللسانيات النفسية أحد فروع اللسانيات التطبيقية.

وأما من جانب أهداف العلم، فإنني لاحظت أن أهداف اللسانيات النفسية من دراسة اللغة تختلف عن أهداف نظيرها علم النفس اللغوي، حيث؛ تهدف اللسانيات النفسية إلى دراسة بنية اللغة من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في علاقتها بالدماغ، إلى كيف يخزن الدماغ النظام اللغوي (الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي) وكيف ينتجه، وهل هناك تطابق بين النظام اللغوي المخزون (البنية العميقة) وبين الكلام (البنية السطحية) وكيف نفسر الاختلافات الموجودة في الكلام عن تلك الموجودة في البنية العميقة، كما تهتم بدراسة اكتساب اللغة عند الإنسان وترجع ذلك إلى نماذج فطرية وكمالات لغوية. في حين يهدف علم النفس اللغوي إلى فهم العلاقة القائمة بين اللغة وباقي الظواهر السلوكية المعرفية كالذاكرة والإدراك والتفكير والذكاء والتعلم ...، كما يهدف إلى إبراز العلاقة القائمة بين اللغة والدماغ أي كيف يعالج الدماغ البشري اللغة (فهما وإنتاجا) وما هي الأمراض والإصابات الدماغية التي تؤثر على سلامة اللغة وكيف نعالج ذلك.

أما من ناحية **مناهج الدراسة**، نجد أن علم النفس اللغوي يلجأ إلى مناهج علم النفس (مثل منهج التحليل النفسي في دراسة زلات اللسان مثلاً، والمنهج العيادي، ومنهج الجشطالت....) بينما تلجأ اللسانيات النفسية إلى مناهج اللسانيات كالمنهج الوصفي لدراسة ووصف الظواهر اللغوية، والمنهج التحويلي التوليدي... الخ.

أما من ناحية **أهداف التدريس** -فإنني أتوقع أن لجنة البرامج في الوزارة- **قررت على الطالب أن يدرس علم النفس اللغوي في السنة الثالثة ليسانس**، بهدف تزويده بالمعارف الضرورية في مجال علم النفس والتربية، كي يكون قادراً على أداء المهام التربوية (التدريس في أحد أطوار التعليم العام) التي قد تسند إليه بعد التخرج. حيث يكون ملماً بنظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية وبالمشاكل التي قد تصادف الطلاب في أثناء الدرس وغير ذلك من الأمور. في حين قررت على طالب مرحلة الماستر أن يدرس مقياس اللسانيات النفسية، بهدف التعمق في فهم الظاهرة اللغوية من النواحي النفسية والعصبية، تشريحاً ووظيفة (فسيولوجياً)، حيث تؤهله هذه الدراسة للالتحاق بأقسام الدكتوراه في علم أمراض اللغة والكلام أو اللسانيات العصبية أو الصوتيات التجريبية، التي تنظم فيها بعض الجامعات الجزائرية مسابقات للدراسة في الدكتوراه، ومن أهم المراكز العلمية في الجزائر التي تحوي هذه الأقسام نجد المركز التقني لتطوير اللغة العربية ببوزريعة (معهد الدراسات الصوتية اللسانية سابقاً).

2- نشأة وتطور اللسانيات النفسية:

في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ظهر المصطلح التقليدي المعروف بـ: علم نفس اللغة أو علم النفس اللغوي، عند بعض علماء النفس المعمليين⁶، ويرى العصيلي⁷ أن هذا العلم مر بعدة مراحل يمكن تلخيصها كالتالي:

الإشارة إلى أهمية الجوانب النفسية في دراسة اللغة ظهرت على يد ويليم فند وهو المؤسس الأول لهذا العلم وفق مفاهيم علم النفس، ولكن ظهر التزاوج بين علم النفس وعلم اللغة على يد بروس سكنر وليونارد بلومفيلد وذلك في منتصف القرن العشرين، حيث اعتبر سكنر أن اكتساب اللغة سلوك إنساني آلي "مثير واستجابة". ثم التقى كل من أسكود وسبيك على تأليف كتاب "علم اللغة النفسي: مسح للنظرية ومشكلات البحث" عام 1953م وهو الظهور الأول للعلم تحت هذا المسمى وشاركهم بعد ذلك م. شانون من شركة بل الأمريكية للاتصالات حيث تم دمج علم المعلومات مع هذا العلم حيث قدم إطاراً نظرياً في التعرف على الأصوات وتحليلها وغيرها من الأطر. وأخيراً استقل هذا العلم عن علم النفس وأصبحت تبعيته إلى اللسانيات (علم اللغة) حيث أن أكثر قضايا لغوية، و تم ذلك على يد تشومسكي خلال نقده للنظريات التي قام عليها العلم و ظهور النظرية الفطرية لاكتساب اللغة. وبعدها أصبح لهذا العلم نظرياته وعلمائه المتخصصون وأبحاثه.

لكن للدكتور جاسم علي جاسم⁸ رأي آخر في بحث له بعنوان "علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب" يخلص إلى أن العلماء العرب القدامى ناقشوا موضوعات علم اللغة النفسي بشكل دقيق،⁹ وكانت آراؤهم مؤثرة جداً في نظريات علم اللغة النفسي الحديث بشكل عام والبنية العميقة والسطحية بشكل خاص؛ والتي تدل بشكل واضح على تأثر تشومسكي Chomsky بنظرية النظم عند الجرجاني؛ بطريقة غير مباشرة، وذلك عن طريق الترجمة،¹⁰ ثم أورد جاسم في بحثه أن علم اللغة النفسي يعالج موضوعات عديدة ومهمة؛ منها: الفكر وكلام ابن خلدون ثم أورد تأثر تشومسكي بالمدرسة الفلسفية العقلانية التي كان رائدها ديكرت والذي بدوره تأثر بأفكار ابن رشد،¹¹ وفي توقيف اللغة واصطلاحها ذكر جاسم اهتمام العلماء العرب بهذا الموضوع منهم الزمخشري في تفسيره وغيره كثير،¹² وفي اكتساب اللغة ونظرياتها حيث أورد اهتمام العلماء العرب في ذلك منهم الجاحظ الذي قال: "والميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما، وبابا؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين"¹³ ثم تكلم عن البنية العميقة والسطحية حيث أورد فيها تأصيل الجرجاني لهذه الفكرة في نظرية النظم في كتابه "دلائل الإعجاز"، وغير ذلك من الموضوعات التي تطرق لها د.جاسم حيث أثبت قدم تاريخ علم النفس اللغوي وأن من أسس له هم علماء العرب.

ومن أهم الأبحاث اللغوية النفسية التي اهتم بها العرب:

- تعليم اللغة وترسيخ الملكة اللغوية عند ابن خلدون والجاحظ.
- أمراض اللغة عند الجاحظ والكندي.
- تشريح الجهاز النطقي والسمعي وعلاقتها بالجهاز العصبي عند ابن سينا.
- التقدير (تقدير المضمّر، المحذوف، العوض، الأصل...) عند النحاة والبلاغيين العرب، بما له من صلة بتقدير الكلام في ذهن المتكلم (البنية العميقة).

3- مجالات اللسانيات النفسية:

- ومن أهم نقاط البحث في علم اللغة النفسي محاولة التعرف على :
- إنتاج اللغة وإدراكها، سواء المنطوقة والمكتوبة.
- تعليم اللغة.
- العلاقة القائمة بين الدماغ البشري واللغة البشرية.

- اكتساب الطفل للغته الأم، كيف يكتسب النظام الصوتي؟ وكيف يكتسب الألفاظ ومعانيها؟ كيف ومتى ينمي الطفل قدراته على فهم التراكيب ونظمها؟ كيف ومتى يستوعب نظام التصريف في اللغة؟... الخ.
- اكتساب اللغة الثانية واللغات الأجنبية.
- يهتم بدراسة اللغة والسلوك اللغوي في الحالة السوية وغير السوية (= الحالات المرضية).
- محاولة التعرف على أسباب الاضطرابات اللغوية وكل ما يتعلق بأمراض اللغة وأسباب العيوب الكلامية والنطقية وكيفية علاجها.
- العمليات التواصلية وما يرتبط بها من نواح فسيولوجية وفيزيائية وسمعية.
- دراسة العمليات النفسية التي تحدث أثناء القراءة، والتي أصبحت علماً مستقلاً يسمى علم القراءة النفسي أو علم نفس القراءة.
- لغة الإشارة عند الصم من حيث الاستعمال والاكتساب وما يتعلق بذلك من قضايا ومشكلات لغوية ونفسية واجتماعية.¹⁴

خاتمة:

مما سبق يمكن أن أقرر أن اللسانيات النفسية تحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما هي الآلية الذهنية التي تمكّن الإنسان من إنتاج عبارات وجمل صحيحة صوتياً وصرفياً ونحويّاً، ومفيدة معنوياً، ومفهومة دلاليّاً، ومناسبة لمقتضيات الأحوال استعمالياً؟
- 2- ما الذي يجري في ذهن البشري عندما يتكلم الإنسان اللغة؟
- 3- ما الذي يدور في هذا الصندوق المغلق والمجهول الذي يُسمى الدماغ؟
- 4- ما هي العمليات الذهنية التي يقوم بها ذهن البشري عند اكتساب لغة ما سواء أكانت تلك اللغة هي اللغة الأولى أم اللغة الثانية أم اللغة الثالثة؟
- 5- كيف تعالج المعلومات في الدماغ البشري وأين تخزن؟
- 6- ما هي الذاكرة وكيف تتعامل مع المعلومات على المدى القصير وعلى المدى البعيد؟
- 7- كيف يفهم الإنسان رموز لغة ما عندما يقرأها أو يسمعها من الآخرين؟

الإحالات:

- 1 جلال شمس الدين: علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، مؤسسة الثقافة الجامعية-الإسكندرية 2003، 9/1.
- 2 جلال شمس الدين: مرجع سابق، 10/1.
- 3 انظر: خليفة بوجادي: محاضرات في علم الدلالة، ط1/2008، بيت الحكمة-العلمة-الجزائر، د.ط، د.س، ص. 100 بتصرف يسير.
- 4 انظر: نازك إبراهيم عبد الفتاح: مشكلات اللغة والتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي، دار قباء-القاهرة، 2000م، صص. 8 و 22 بتصرف.
- 5 انظر: أنسى محمد أحمد قاسم: مقدمة في سيكولوجية اللغة، مركز الإسكندرية للكتاب، 2000م، ص. 20.
- 6 جاسم جاسم علي: علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب، مجلة العربية للناطقين بغيرها، العدد السابع، السنة السادسة. 2009م. ص. 29-30
- 7 عبد العزيز العصيلي: علم اللغة النفسي، الطبعة الأولى، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، 1427هـ 2006م، صص. 38-53.
- 8 جاسم جاسم علي علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب. صص. 29-95.
- 9 للمزيد، قارن مع: - خاتمة بحث جاسم جاسم علي: علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب. ، صص. 29-95. و: جاسم جاسم علي. تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي. مجلة التراث العربي بدمشق، العدد 116، السنة التاسعة والعشرون، 2009م. صص. 69-82، و: جاسم جاسم علي، وجاسم، زيدان علي: نظرية التقدير عند النحاة العرب والمسلمين وأثرها في نحاة الغرب المعاصرين تشومسكي، مجدد النحو العربي. مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد الثالث، العدد الأول. 2010م، صص. 1-18.
- 10 جاسم جاسم علي: علم اللغة النفسي عند قدامى اللغويين العرب صص. 29-95.
- 11 المرجع السابق، ص. 36.
- 12 المرجع السابق، ص. 37.
- 13 الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1998م. 62/1.
- 14 انظر: سهير محمد سلامة شاش: علم نفس اللغة، مكتبة زهراء الشرق _ القاهرة، ط1/2006، صص. 51-53، والعصيلي عبد العزيز بن إبراهيم: علم اللغة النفسي، صص. 35-37.